المحطة الأولى

منذ سنة ١٩٤٥ حتى الانقلاب العسكري الأول

تمهيد

تركز النضال الوطني في سوريا قبل الاستقلال ١٩٤٦ على طرد الأجنبي، والتخلص من الاحتلال الفرنسي، فكان هذا النضال تحررياً تقريباً، كما كان ذلك في أكثر البلدان العربية، التي تناضل من أجل الحرية والاستقلال...

أما بعد الاستقلال فقد برزت الأفكار القومية إلى الميدان، وأصبحت الوحدة مطلباً جماهيرياً وطنياً، وبدأت الآراء الوحدوية العربية تتبلور وتتضح لتحتل مكان الصدارة بين أكثر الشرائح الاجتماعية، وهكذا أصبحت الوحدة العربية على كل لسان في أكثر البلدان العربية، وأخذت طريقها إلى دساتير بعض الحكومات في الوطن العربي، خاصة بعد ثورة رشيد علي الكيلاني في العراق، واندفاع الكثيرين من أبناء سوريا ولبنان إلى بغداد للنضال ضد المحتل الإنكليزي هناك، مثل أكرم الحوراني وعدد من الضباط من سوريا، وحمد صعب وفوزي القاوقجي من لبنان وغيرهم.

وكل ذلك يشير إلى تفتح الوعي الوطني والوعي القومي في بلاد الشام مبكراً، مما دعا بعض المؤرخين للقول: إن سوريا (بلاد الشام) تستطيع الادعاء بأنها رأس الحركة العربية القومية وقلبها منذ بدايتها، في أوائل القرن الماضي.

وكانت سورية منبع الأفكار السياسية المولدة للحركة العربية القومية، ومرتع الأحلام والتصورات الوطنية التي لا تحصى.

ولما حصل اغتيال الدكتور الشهبندر في ٧ تموز سنة ١٩٤٠، جاءت فرصة القوتلي

obeikandl.com

لقيادة الكتلة الوطنية، وقد كان الشهبندر رجل خلق وعقل ووطنية كبيرة، وكان من أبرز منتقدي الكتلة الوطنية الخطيرين عليها، مما أدى إلى اتجاه الشكوك نحو زعماء الكتلة في قضية الاغتيال...

وقد هرب ثلاثة من رجال الكتلة البارزين إلى العراق ـ جميل مردم، لطفي الحفار، سعد الله الجابري ـ تاركين القوتلي وحيداً في الميدان، لمصارعة الفرنسيين، فبرز كزعيم وطني في الأشهر المضطربة، حتى هرب فيما بعد إلى السعودية ليعود منها سنة ١٩٤٢ بعد وساطة ابن سعود مع فرنسا الحرة...

لقد تم الاعتراف رسمياً باستقلال سوريا ولبنان من سنة ١٩٤١، لكن امتيازات السيادة الجوهرية ـ (السيطرة على القوات العسكرية المسلحة، والسلطتين التشريعية والتنفيذية، الكاملتين، ـ بقيت بيد الفرنسيين، حتى قامت مواجهات دموية مع الفرنسيين في أكثر المناطق، شارك فيها عدد من الضباط الهاربين من القوات الفرنسية والدرك، والجماهير المكافحة والتدخلات البريطانية، حتى تم الانسحاب الفرنسي، في نيسان سنة ١٩٤٦، لجميع القوات الأجنبية في القطر العربي السوري.

لقد كانت الكتلة الوطنية مع كل عجزها ـ حتى قبيل الاستقلال ـ، المرشح الوحيد لاستلام السلطة ما دامت العلاقات بفرنسا، تغلب الدبلوماسية السورية، في حين بقي الجنود الفرنسيون يحتلون البلاد، ولما حصلت الانتخابات سنة ١٩٤٣ في شهر تموز، احتكرت الكتلة الوطنية كل السلطات تقريباً، فانتخب شكري القوتلي رئيساً للجمهورية، على حين ألف زميله سعد الله الجابري الوزارة، وكان للسيد شكري القوتلي من الرصيد الوطني والشهرة السياسية، ما يسمح لزملائه المراوغين، متابعة دسائسهم من خلفه، والمشاركة في اكتساب الغنائم.

وأخيراً بدأ تفتيت الكتلة الوطنية وتمزقها، حيث ظهرت بوادر الانشقاق السياسي في حلب، فانفصل رشدي الكيخيا وناظم القدسي عن سعد الله الجابري، وبرزت الانشقاقات بعد ذلك إذ بعد الجلاء والاستقلال، حوصرت سوريا بكم هائل من المتاعب والمؤامرات التي ينوء بحملها كاهل رجال الحكم، الذين بدؤوا بممارسته حديثاً[1]،

١- أوراق من دفتر الوطني سامي جمعة ص ٢٣.

obeikandl.com

حيث بدأت لأول مرة تطبيق مقولة:

(عفا الله عما مضى) التي أطلقها المغفور له شكري القوتلي رئيس الجمهورية، وجعلها شعاراً للعهد، وكانت سبباً رئيسياً لما واجهه العهد، من متاعب وأعباء، لأنه أعاد الكثيرين من العملاء الفرنسيين والسيئين للوطن، ولم يتخلوا بعد عن مؤامراتهم والدس على الشرفاء، ومحاربة الوطنيين. إلى جانب ذلك ظهرت على الساحة تيارات جديدة هي:

١ـ تيار هاشمي عراقي (حزب الشعب وأنصاره).

٢ـ تيار هاشمي أردني (الحزب الوطني والكثير من رجال العشائر).

ففي مجال التيار الأردني: وجه الأمير عبد الله فور جلاء الفرنسيين، رسالة إلى الرئيس شكري القوتلي تضمنت ما معناه: تسليم الأمانة إلى أصحابها. أي تسليم سوريا للأمير عبد الله بعد تخلصها من الاستعمار الفرنسي، .. باعتباره وريث الملك فيصل، ووالده الشريف حسين، مفجر الثورة العربية الكبرى ـ وقد استقطب هذا التيار الكثيرين، خاصة من محافظتي حوران وجبل العرب. وكانت الغالبية العظمى التي التفت حوله، مؤلفة من رجالات وطنيين يحنون إلى تلك الثورة العربية[1] (ثورة الشريف حسين) ومن بينهم جماعات كانت تعارض زعماء النظام الوطني في دمشق.

يذكر سامي جمعة في كتابه ـ ص ٤١ـ٤٢:

في آذار سنة ١٩٤٦ نال الأردن استقلاله، وفي حفل افتتاح البرلمان الأردني في تشرين الثاني عام ١٩٤٦، أعلن رسمياً عن مشروع سوريا الكبرى كمبدأ أساسي في السياسة الخارجية الأردنية، وفي مطلع آب عام ١٩٤٧، أذاع الملك عبد الله بياناً رسمياً، دعا فيه إلى إنشاء جمعية تأسيسية، تقر بتوحيد أجزاء سورية الكبرى، بحيث تضم: سورية، والأردن بزعامته، ووجه الملك رسالة بهذا الخصوص إلى المرحوم شكري القوتلي، حملها إليه رئيس ديوانه (محمد الشريقي).

وقد سبق تلك الرسالة للرئيس القوتلي، رسائل لكل النواب والسياسيين السوريين،

١- الثورة العربية التي طردت الأتراك.

obeikandl.com

أرسلها الملك عبد الله، وفيها صور عن بيانه الذي يدعو فيه لتحقيق سوريا الكبرى.

لقد انزعج الرئيس شكري القوتلي من سلوك عبد الله، واكتفى بأن رد عليه، برسالة شفهية حملها لمندوبه الشريقي ضمنها ما يلي:

من الأمور الطبيعية في سنة الكون، أن يتبع الفرع الأصل، وليس العكس، ولما كان شرقي الأردن جزءاً من سوريا، وقد كان في الأصل قائمقامية تتبع متصرفية درعا حاضرة حوران، فإن سوريا التي ارتضت النظام الجمهوري الديمقراطي، ترحب بعودة الفرع إلى الوطن الأم في ظل النظام القائم، وهي ترحب بإجراء استفتاء نزيه حول ذلك الموضوع، في كل من سوريا والأردن. في حين سارعت سوريا بالاتصال مع مصر والمملكة العربية السعودية لمساندة موقفها من الملك عبد الله ومشاريعه فكان موقف مصر حازماً ضد المشروع وداعماً بقوة للموقف السوري.

أما السعودية فقد اغتنمت الفرصة، لتساوم سورية على تحرير وتوقيع اتفاقية مرور أنابيب النفط (التابلاين)، لأن هذا المشروع كان على رأس أولويات مصالح الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة العربية، إضافة لرعايتها ودعمها لإسرائيل، لإقامة دولة إسرائيلية قوية في فلسطين آنذاك، فهذان الموضوعان كانا السبب الرئيسي لقيام الولايات المتحدة بدعم (حسني الزعيم)[1]. ودفعه للقيام بانقلابه على الحكم الوطني بعد الاستقلال، وقد رافق ذلك تحريض فرنسي بسبب موضوعين كان الحكم الوطني في سورية يعارضهما وهما: اتفاقية بنك سورية ولبنان التي كانت تعطي لهذا البنك الفرنسي امتياز إصدار النقد السوري، وموضوع مصالح فرنسا الثقافية، لإعادة المدارس والإرساليات الفرنسية التي صادرها الحكم الوطني الجديد.

وفي عهد القوتلي تناوب على رئاسة الحكومة ثلاثة من أعضاء الكتلة الوطنية البارزين وهم: سعد الله الجابري، جميل مردم، فارس الخوري بين عامي ١٩٤٣ـ١٩٤٧ حيث كافحت حكوماتهم ضد أمور شاذة كبرى، مثل مكافحة الفرنسيين الذين رفضوا التخلي عن مصالحهم في سوريا، واستمروا بالمراوغة لبقاء نفوذهم مستمراً فيها[2].

١- سامي جمعة ص ٤٢.

٢- باترك سيل ص ٤٨.

obeikandl.com

ولكن الكتلة الوطنية كانت قد فقدت ثقة الشعب، وأصبحت صورتها قاتمة في وجه الجماهير. وقد عانت الكتلة كثيراً بموت سعد الله الجابري في ٢٠ حزيران سنة ١٩٤٧ وتلقت ضربة قاسية، لأنه كان أكثر رجالها شجاعة واستقامة، وبقي الرجل الوحيد الذي بقيت له سمعته ونفوذه، كما كان الرجل الأول الذي عارض التمديد للقوتلي، أو تعديل الدستور من أجل ذلك، وهكذا ظهرت بعد وفاة الجابري مباشرة، القوى الكثيرة المناوئة للكتلة الوطنية.

ولما جاءت الانتخابات في شهر تموز سنة ١٩٤٧، شكل حزبا البعث العربي والشعب، جبهة معارضة مشتركة لشن حملة إصلاح انتخابي، وبعض الإجراءات الانتخابية الأخرى، ونجحت هذه الحملة بتحقيق انتخابات مباشرة على مرحلة واحدة.

فعاد في حلب جميع زعماء المعارضة للبرلمان، وهم رشدي الكيخيا، وناظم القدسي، ومصطفى برمدا، ووهبي الحريري، واحمد الرفاعي، وفي دمشق أخفق في الدورة الأولى معظم كبار رجالات الحزب الوطني في الحصول على نسبة ٤٠٪ من الأصوات الضرورية للنجاح. ولكنهم عادوا في الدورة الثانية، لما غدت الأغلبية القليلة كافية، بأغلبية ساحقة مريبة، أثارت الأقاويل عن تدخل الحكومة بواسطة وزارة الداخلية (دهاء صبري العسلي) وقد انتخب المجلس الجديد في جلسته الأولى في ٢٧ أيلول، فارس الخوري رئيساً له، وفي اليوم التالي، تقدم جميل مردم باستقالة حكومته، ولكنه كلف ثانية بتشكيل حكومة جديدة ـ ويبدو أن الفوضى الفاجعة كانت قد حكمت البرلمان السوري في ذلك الوقت، وزاد عليه الغمز واللمز، حيث كتب حبيب كحالة عنه تعليقاً بعنوان (نائب في البرلمان) بمجلة المضحك المبكي[1] قال فيه: نظرت حولي، وكان ما رأيته فقط، رجالاً لا يوجد بينهم شيء، ولا يشتركون في أية مبادئ، ولا يربطهم تنظيم حزبي، وقد وصلوا إلى البرلمان، بأساليب خادعة مقنعة، نتيجة انتخابات فوضوية تحت ستار الحرية، فكان بعضهم أمياً، وآخرون أدباء مرموقين، وكانت لغة بعضهم الكردية أو الأرمنية، ولم يعرف آخرون سوى اللغة التركية فقط.

١- المضحك المبكي رقم ١٩٣ ص ٤٣- باترك سيل ص ٥٣.

obeikandl.com

إن بعضهم ارتدى الطربوش، وآخرون اعتمروا الكوفية[1] والعقال، وكان بينهم رجال من البادية أو المدينة ولم يزد الأمر عن مسرحية وتمثيل أدوار...!!!

أما عن الحالة في الجبل بعد سنة ١٩٤٦ فالحياة العشائرية تسيطر على الساحة في الجبل. لأن سيطرة الحكومة والشرطة والدرك كانت ضعيفة على الناس، حيث يدخل الشخص على سرايا الحكومة وبندقيته على كتفه ومسدسه على جنبه. فلا يعترضه أحد وحل جميع مشاكل الناس بالطريقة العشائرية ((فقاضي الدم أبو راس في بلدة الرحى وكذلك أبو عساف في بلدة سليم))، كل هذا مع تقاليد عربية عريقة تكاد تكون خاصة، كرّست في الناس قيماً اجتماعية وقومية كانت وما تزال موضع فخر واعتزاز لأبناء الجبل عموماً. مثل عادة الكرم التي تفرض على كل بيت أفضل غرفة فيه وأكبرها المضافة للضيافة واستقبال الخطار والزوار واجتماع البعيدين والمقربين حيث يقضي الرجال سهراتهم واجتماعاتهم يشربون القهوة العربية ويستمعون لرواة الأخبار وقصائد الفخر والحماس يلقيها شعراء الشروقي والهجينة والمغنى على أنغام الربابة أو المجوز أو الشبّابة. لتسري في النفوس سريان الدم في العروق وتسري معها الحماسة لتحقيق البطولات ومكارم الأخلاق.

وفي أوقات الثورات والحروب تتركز الأقوال والأحاديث في المضافات عن المعارك ومدح الأبطال وتهديد الأعداء وأهازيج الجوفيّات والتي تثير الحمية وتدفع الشباب للمعارك والتضحيات بحماس منقطع النضير مثل هذه الجوفية:

يـــا لله يـــااللي حـــاجز مـــوج البحـــر

يـــا معتلـــي لأنـــك دعانـــا تـــسمعِ

تجعـــل ســـعدنا عاليـــاً فـــوق البـــشر

قيـــدومنا يـــشبه شـــبيب التبعـــي

لـــصار حنـــا نجـــوم وســـلطان القمـــر

خمـــس طعـــش نيـــسان ويـــوم يطلـــعِ

١- الكوفية: غطاء الرأس تحت العقال غالباً لونها أبيض.

obeikandi.com

ومع كل هذا فالحياة العشائرية لا تبني المجتمع الحضاري الحديث وبقي المجتمع في الجبل يسير بخطى بطيئة نحو تشكل المجتمع المدني الحديث وإلغاء أو تخفيف وطأة العشائرية والبداوة التي كانت تناقض الحياة التي تسود فيها القوانين المدنية والدساتير الدولية التي تربط الناس أكثر بالصالح المتحضر...

ومع انتشار العلم والثقافة والمدارس وقراءة التاريخ الحديث وتطور المجتمعات الغربية وحتى الشرقية باتجاه التقدم المدني والحياة الحضارية برز عدد من الشباب المتعلمين المثقفين يطالبون منذ الثورة السورية الوطنية والسنوات التي تلتها لإلغاء الزعامات والعائلية والعشائرية في مجتمع الجبل خاصة وأن معارك الثورة السورية وقبلها الثورة العربية الكبرى قوّت أواصر العلاقات الوطنية والقومية وربط الجبل بالوطن القطري من جهة والقومي من جهة أخرى.

وبدأت الأنظار ترنو نحو دمشق ونحو الوطن العربي الكبير ومنذ سنة ١٩٤٣ تشكلت كتلة شباب الجبل من بعض المثقفين منهم: جميل أبو عسلي ـ هاني أبو صالح ـ حسين عبد الدين يطالبون بالوحدة الفورية مع دمشق ويطالبون بالاهتمام بالأحوال الزراعية والاجتماعية والصحة والتربية في الجبل فرفعوا وثيقة هامة للمطالبة بإصلاح الأحوال في الجبل.

حوادث الشعبية والطرشان في الجبل

في سنة ١٩٤٧ حصلت حوادث عشائرية وعائلية في الجبل رافقتها بعض المصادمات والمعارك الهوجاء، سقط فيها عدد من القتلى والجرحى عرفت بحوادث الشعبية والطرشان.

وفيما يلي الأسباب البعيدة لحوادث الشعبية والطرشان في الجبل:

١ـ زيادة الوعي الثقافي والعلمي وشعور الجيل الجديد بضرورة إلغاء العشائرية والقبلية والانتقال إلى المجتمع المدني وسيادة الدستور والقوانين في المجتمع.

٢ـ استئثار بعض العائلات والزعماء بجميع المهام السياسية والإدارية في الجبل وبروز فكرة الإمارة الممتازة في الجبل، تابعة للإنتداب الفرنسي أو شبه مستقلة.

وفي هذا المجال يقول سيطان نصر (المقابلة في ٢٠٠٥/٦/٢٩):

obeikandi.com

لقد كنا في بلدتنا نجران وبلدة سميع مع شباب بعض القرى المجاورة، نؤيد أهداف ومطالب الشباب التقدميين لإلغاء العشائرية والقبلية وسيطرة العائلة الواحدة في مجتمع الجبل الذي نعيش ونتحرك في رحابه، وقد حصلت عدة اجتماعات معي بالذات ومع بعض الشباب التقدميين في السويداء مثل حسين عبد الدين وهاني أبو صالح ـ وبدأنا نخطط لعقد اجتماعات شبابية وتقدمية أوسع في منطقتنا ـ ولكن سلوك حكومة دمشق (الحزب الوطني. جميل مردك، وزير الدفاع أحمد الشرباتي) وإرسال قواتها إلى بصر الحرير بيّنت نيتها لخلق فتنة في الجبل وإزاحة بعض العائلات إلى الهامش وبسط سيطرتها ونفوذها لتتصرف كما تشاء في ربوعنا، جعلنا نقف ضد الحكومة وليس ضد أهداف ومطالب الحركة الشعبية التي كنا نعتبرها ضرورية وبناءة.

بعد الاستقلال كان وهج الثورة السورية وسلطان الأطرش يتفاعل على الساحة السياسية على مساحة الوطن العربي ومعه أهمية الجبل ونضال المجاهدين من حول سلطان باشا الأطرش وآل الأطرش.

وقد برز في هذه المرحلة المحافظ حسن الأطرش الشاب الجريء والشجاع النشيط في مقدمة هذا المد السياسي الوطني في الجبل باتجاه دمشق فقد كان يعرف جيداً موقف وحركات جميع السياسيين في دمشق خاصة بقايا الكتلة الوطنية الذين امتطوا متن السياسة في سوريا من الثلاثينيات فكان يدخل على رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء أو أي وزير أو نائب في دمشق بدون استئذان مكللاً بتوهج الثورة السورية ونضال جبل العرب الذي ساهم كلياً بتحقيق الاستقلال والجلاء عن الوطن فراح جميع السياسيين يحسبون لذلك ألف حساب على مساحة الوطن كما صار حسن الأطرش وآل الأطرش بالمقابل يحسبون حساباتهم لاستيعاب مختلف التيارات السياسية في الجبل للمحافظة على الوضع القيادي للعائلة لتبقى في مقدمة العائلات وطليعة العشائر.

ومع أنهم وقعوا في مطبات كثيرة حتى مع حلفائهم لكنهم استأثروا بأكثرية المهام السياسية والإدارية الحساسة في الجبل (المحافظة ـ قيادة الشرطة ـ مديرية التربية). كلها لآل الأطرش وأنصارهم....!

obeikandi.com

٣ـ محاولة الأمير عبد الله لتحقيق حلمه ملكاً على سوريا:

حيث بثَّ الدعايات ووزع الأموال وعمل على ضم أي محافظة، أو جميع المحافظات السورية إلى مملكته.

فبعد أربعينيات القرن الماضي قويت الميول في سورية للانضمام إلى إمارة الأمير عبد الله بن الحسين في الأردن أو إلى العراق، وقد كان الأمير عبد الله يحلم بتأسيس مملكة في سورية منذ مغادرة الملك فيصل لمملكته فيها.

وقد كان المواطنون في الجبل يتهمون الحكومات المتعاقبة بإهمال الجبل خاصة بعد تراجع النفوذ الفرنسي وبعد ١٩٤٤ تردد الكثير من شخصيات الجبل من الطرشان والبدو إلى عمان يبدون استعداداتهم لقبول ضم الجبل إلى الأردن. وقد أصبحت هذه المباحثات حثيثة وخاصة عندما تحركت الحكومة السورية لدمج المنطقة بدمشق وأخذت تعمل لسحب النفوذ من آل الأطرش وقد اختصرت الحكومة عدد عساكر المجتمع الدرزي من ١٧٠٠ إلى ٦٥٠ رجلاً ونقلت قائد هذه الفرقة حمد الأطرش خارج الجبل وعينت قائداً للفرقة مكانه من خارج الجبل وقد كانت هذه الفرقة تظهر كأنها قوة خاصة للجبل أكثر من أنها جزء من الجيش السوري.

لذلك قامت مظاهرات في الجبل ضد الحكومة السورية وقامت الحركة الشعبية بمظاهرات مضادة وتأزم الوضع حتى كانت الحكومة في دمشق والمعارضة في الجبل تخشى من قيام انقلاب في الجبل تطلب فيه الجبهة الطرشانية تدخل الأردن والانضمام إلى العرض الملكي[1]. الذي يقدمه الأمير عبد الله... خاصة أن أكثر المهام الحكومية الإدارية والسياسية كانت بيد جماعة الطرشان وهذا ما يسهل لهم المهمة، وفي قضاء شهبا فقد كانت السلطة بيد حسن الأطرش حيث أن عائلتي عامر والأطرش كانتا متعاونتين في تلك الأيام وكانت بيد الطرشان قيادة الدرك.

لذلك كان هناك سعي حثيث بالاتجاه نحو الأردن خاصة بعد أن لاح في الأفق شبح إمارة مستقلة ترتبط بالأردن التي كانت سياستها تشجع العشائرية والعائلية أكثر بكثير من سياسة الجمهورية السورية التي كانت تشجع المعارضة في الجبل.

١- بريجيت شيلر ص ٢٥٥.

obeikandl.com

الأسباب المباشرة: التزاحم على المقاعد في المجلس النيابي في انتخابات سنة ١٩٤٧، وتدخل حكومة دمشق وربما عادل ارسلان والحزب الوطني بشكل عام لدعم القائمة الشعبية والحد من نفوذ آل الأطرش وحلفائهم على الساحة العامة في الجبل.

وهكذا كان التدخل السافر للحكومة وجماعة الحزب الوطني إلى جانب الحركة الشعبية وإرسال قوات عسكرية إلى بصر الحرير ومحاولة تقدمها نحو الجبل لولا الحواجز التي أقامها أنصار الطرشان على الطريق خاصة حاجز رُقّة الصّقر ووضع قساطل على الأماكن النابية العالية لإيهام الجيش والطائرات بأنها مدافع لصد القوات القادمة من خارج الجبل وتفجير القنابل من حولها تلك القنابل التي كان يطلقها مدفع بصر الحرير باتجاه نجران (أيام الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥) لتغوص هذه القنابل في التراب وتنطفئ دون أن تنفجر ومن ثم كانوا يضعون القنبلة تحت الحطب المشتعل لتنفجر مصدرة دويّاً هائلاً تهتز منه أرض الجبل وحوران كي يقال هذه قنابل مدافع الحواجز التي على طريق الجيش.

في هذه الأجواء، خاضت الجبهة الشعبية في الجبل معركة انتخابية حقيقية، فوزعت مناشير شعبية دعائية، تحت شعار على المصالحة والمنفعة في انتخاب الجبهة وعقدت تجمعات انتخابية شعبية، أهمها ما كان في المزرعة بدعوة من داود هنيدي، وتكلم في هذه الاجتماعات جميع البارزين في صفوف الحركة الشعبية[1]، حيث قدموا أنفسهم للجمهور، وعندما احتد التنافس بدأ المرشحون من الطرفين، يتنازلون لبعضهم، أملاً بالنجاح الأكيد. فانسحب من قائمة الطرشان يوسف هلال الأطرش، كما تنازل من قائمة الشعبية سليم الجرمقاني، وسعيد أبو الحسن لصالح حسين الشوفي، وأصبحت لوائح الانتخابات كما يلي:

جميل أبو عسلي، داود هنيدي، عبد الكريم سلاّم، ومعهم حنا البشارة عن المسيحيين، ينافسهم متعب الأطرش، يوسف عبد الغفار الأطرش، ومعهم عقلة القطامي، عن مقعد المسيحيين وفي قضاء صلخد: حسين الشوفي، ينافسه علي ذوقان الأطرش.

وفي شهبا: حمد عزام (شعبي) ينافسه حسن عامر.

١- بيان من الجماهير، توقيع جميل أبو عسلي وداود هنيدي. صحيفة الجبل عدد ٦٧٨- ٧حزيران ١٩٤٧.

obeikandi.com

وقد حصلت بعض المشاكل لطلبات الترشيح، فقد رفض المحافظ حسن الأطرش، طلب جميل أبو عسلي للترشيح لمخالفته المادة ١٣ من قانون الانتخابات لأن السيد جميل أبو عسلي كان موظفاً وكان عليه أن يستقيل من وظيفته قبل ثلاثة أشهر من الترشيح ومع هذا فقد استمر ترشيحه، وقد فاز في هذه الانتخابات مرشحو العائلات الكبيرة[١]، وهم:

(يوسف الأطرش، متعب الأطرش وعقلة القطامي في السويداء) وعلي ذوقان الأطرش عن صلخد، وحسن عامر عن شهبا.

وقد طعنت الجبهة الشعبية بقانون الانتخابات وطالبت بإلغائها باعتبارها مزورة ـ وأصدرت بياناً طالبت فيه[٢]:

ـ إلغاء الانتخابات المزورة ـ كف تسلط السلطة المحلية ونقل المحافظ وقائد الدرك إلى خارج المحافظة واستقدام موظفين سوريين من خارج الجبل حياديين. فرض مقاومة صارمة ضد الساعين لإلحاق الجبل بالمملكة الأردنية وإدانة المسعى الاستعماري والحركة البريطانية التي تسعى إلى تثبيت إمارة مزيفة في الجبل[٣].

ويرى بعض المحللين أن فئة من الدرجة الثانية تتبعت مصالحها الخاصة فقط إذ أن حمزة درويش لم يترك من شيء إلا وتحدث فيه عن الحرب مثلاً وكذلك قاسم أبو خير.

ـ أما المثقفون فقد سعوا إلى إبدال وجاهة الوراثة بوجاهات مثقفين يسعون إلى تحديث الأسرة والمجتمع.

لكن الجبهة الشعبية ومن خلال تأثير الجيل القديم اتخذت شكلاً عشائرياً، في حين كان إلى جانب آل الأطرش عائلات كبيرة من الجبل.....!

أمّا آل جربوع وآل نصر وهم سابقاً من وجهاء العامية فكانوا فيها ضد آل الأطرش... وكانت العامية القديمة ما زالت ماثلة في الأذهان وكانت حركة الشباب الوطنية تنسب نفسها لها. لذلك فعليها أن تنجز ما لم تنجزه العامية سابقاً. فالحركة الشعبية في الجبل

١- صحيفة الجبل رقم ٦٨٣-١٧-١٨ تموز ١٩٤٧.

٢- مذكرة عن تزوير عملية الانتخابات صادرة عن هيئة الشعب الوطنية في جبل العرب جريدة الجبل ٨ آب ١٩٤٧.

٣- بيان هيئة الشعب الوطنية في الجبل ١١ آب ١٩٤٧.

obeikandi.com

لم تكن تراثاً ثورياً من أجل العدالة إنما حركة اجتماعية إصلاحية نمت وتغذت على الإيديولوجيات العاطفية وكانت الحكومة تماطل بنتائج إعلان الانتخابات، وتؤجل إعلان أسماء الفائزين من آل الأطرش حيث تناولهم الطعن، ولم يداوم في المجلس من نواب الجبل إلا النائب هايل السرور الفائز عن البدو في انتخابات ١٩٤٧.

وكانت الحكومة ترد على المتسائلين عن سبب غياب نواب الجبل المنتخبين عن المجلس، فتجيب إن النتائج ما زالت تدقق، وكانت وفود المرشحين من الفريقين، توالي مراجعاتها في دمشق وقد وصلت إلى دمشق مذكرات ومظابط عديدة بعضها يشير إلى تدخل الحكومة في الانتخابات في الجبل، ودعم الجبهة الشعبية بالمال والسلاح، ولربما كان الدعم محدوداً، لكنها شكوى بحد ذاتها، وقد عرفت وأنا في نجران أن اتصالات حصلت مع الضابط فهد عبد الكريم نصر لجس نبض زعيم العائلة في نجران نايف عجاج نصر وتقديم إغراءات مالية كبيرة تدفعها الحكومة، مقابل التخلي عن دعم الجبهة الطرشانية فرفض، وقد تحدّث الكثير من الناس عن توزيع الأسلحة في صلخد على أفراد الحملة الشعبية قبل معركة (بكّا) من قبل ضابط في الشرطة كان محافظاً في الحسكة في ذلك الوقت[1].

ولما تعقدت المفاوضات في دمشق، واحتد الوضع على خلفيتها في الجبل، دعت الحركة الشعبية إلى مؤتمر في بريكة، وتقرر أن يقود الحملة الانتخابية الجديدة حمد عزام ـ وقد طرحت الحكومة مشاريع جديدة لمكافحة البطالة وتوزيع البذار على الفلاحين وإعادة تنظيم الجهاز الإداري في الجبل إلا أن صدامات دامية حدثت في قرى الجبل التي تجمع عائلات من أنصار الجبهتين، وفي أواخر تموز سنة ١٩٤٧ اشتبك آل هنيدي وآل نصر في المجدل ووقع عدد من القتلى والجرحى وكانت جريدة الجبل التي كانت تميل إلى جانب الشعبية تبدي أسفها لخلو المنطقة ممن يستطيعون التدخل لوقف مثل هذه الحوادث المؤسفة وبعد حادثة المجدل صدر تصريح عن رئيس الحكومة جاء فيه: إن نتائج انتخابات الجبل ما زالت تدقق، وإنه ليس لحادثة المجدل أي علاقة بالصالح العام، وهي مجرد حادثة عادية.

١- من حديث الأستاذ هايل حمزة من جامعة دمشق ١٩٥٧.

obeikandl.com

وأخيراً تركت الحكومة الجبل بناءً على إرادة رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي (يصحح نفسه بنفسه) وفي شهر آب ١٩٤٧ قامت حركة الشباب الوطنية في جنوب الجبل بجولة دعائية في القرى لشرح أهداف الحركة الشعبية بصورة عامة وبالرغم من أن الجولة مرت في قرى ذات نفوذ طرشاني فقد انتهت بدون حوادث، وفي الشهرين التاليين بدأ التفاوض بين الجانبين وقد استدعى خطر النزاع بين الفريقين حضور وفود من أعلى المستويات في المحيط المذهبي والعُقّال الروحيّين ومن الواجاهات الدنيوية والنفوذ إلى المواقع مثل كمال جنبلاط من لبنان ـ وشيوخ وادي التيم ـ كذلك شيوخ عقل الطائفة في فلسطين وقاضي المذهب اللبناني علي مزهر من جهة، وقد ضم الوفد الكريم أكثر من مائتي شخصية من ذوي النفوذ وقد بقيت الوفود في الجبل أكثر من خمسة أيام بمشاركة جميع الفئات وحضور ممثلين عن الحكومة المركزية في دمشق وقد تطلب تنظيم اللقاءات عناءً كبيراً.

وقد أورد نجيب حرب في جريدة الجبل أن الوفود بذلت جهداً كبيراً لإيجاد الحل كذلك فعل شيخ العقل في الجبل ومعه الشيوخ الروحانيون. وبذلوا نشاطاً متواصلاً لحسم الخلاف سواء في جنوب الجبل أو في الشمال وجهدوا في السعي للتصالح لكن خطر الاقتتال بين الفريقين كان أشد، فأصر الطرشان على إعلان نتائج الانتخابات بينما تشدد الشعبية لطلب إلغاء هذه النتائج، وأخيراً أعلن آل الأطرش تنازلهم واستقالتهم من جميع مناصبهم[1]، وفي ٢٤ أيلول ١٩٤٧ أجيز الأمير حسن الأطرش لمدة شهرين بعد أن تخلى عن مهامه كلياً، وناب عنه سليمان نصار من قرية سالي الذي كان يتمتع بثقة الفئتين[2]، وهنا أصدر الرئيس شكري القوتلي الذي تعمد إنهاء آل الأطرش، مرسوماً في نهاية تشرين أول سنة ١٩٤٧ لتثبيت أسماء المرشحين وأعلن موعد الانتخابات الجديدة في كانون أول سنة ١٩٤٧ وقامت مناورة عسكرية على طريق القنيطرة.

عقدت جبهة الطرشان اجتماعاً في نجران قررت فيه مقاطعة الانتخابات وقطع خطوط الهاتف واحتلال مخافر الدرك ـ باعتبار أن الحكومة هي وراء دفع الحركة

١- جريدة العقل ١٩٤٧/١٠/٨.

٢- جريدة الجبل ٢٤ أيلول ١٩٤٧.

obeikandi.com

الشعبية ضدهم[1]، وأصبحت المنطقة أمام صدام مسلح لا يمكن تجنبه.

كتّلت الحركة الشعبية مناصريها في الجنوب واتجهت نحو القريا إلى دار سلطان الأطرش القائد العام للثورة، الذي تجمع حوله المؤيدون ببيارقهم، وسارت الحملة الشعبية الممتدة خلال يومين إلى قرى عنز وأم الرمان وذيبين وهي تهدم بيوت آل الأطرش بطريقها وتقطع الأشجار في الدور والكروم حتى حدثت معركة بكا الكبيرة التي خسرتها الشعبية وسقط بنتيجتها العديد من القتلى والجرحى من الجانبين، بينهم سعيد الأطرش وحمزة درويش وصالح عزيز ـ أما سلطان الأطرش فقد بقي على تقاليده العشائرية ولم يغادر منزله، واقتيد إليه بعض الأسرى من وجهاء الشعبية بينهم قاسم أبو خير وهو من رفاق الباشا في الجهاد وقد كان معه في النبك في المنفى، فكرّم سلطان أسراه وذبح لهم خروفاً وليمة ـ وحاول إكرامهم كضيوف عنده[2]... كان انتصار الطرشان في معركة بكا مفاجأة حتى للطرشان أنفسهم وصرح وزير الدفاع بدمشق أحمد الشراباتي بأن هزيمة الشعبية كانت نتيجة هجوم متهور على موقع وخصم مستعد للمعركة.

المصالحة والهدوء: تظافرت جهود المصلحين وجهود الحكومة المركزية بدمشق على تطويق الوضع الدموي والانقسام في الجبل، فأطلقت الحكومة المركزية على منطقة الجبل المحافظة الأولى اسم محافظة السويداء وسمت المصلح اللبناني عارف النكدي رئيس محكمة النقض بدمشق محافظاً مزوداً بصلاحيات واسعة ومعونات مادية جيدة.

صورة المصلح الكبير عارف النكدي

فكان ذلك تأكيداً للاندماج العام كما كان ذلك أيضاً إبعاداً لآل الأطرش عن السلطة في الجبل، ففاوض المصلح الكبير عارف النكدي فوراً وسعى بمساعدة كمال جنبلاط والمشايخ إلى هدنة ووقف استعمال السلاح لمدة عشرة أيام مبدئياً بعد معركة بكّا، كما مُنح صلاحيات كافية من أجل وقف حمل السلاح وإعادة

١- شيلر ص ٢٦٣.

٢- نفس المرجع ص ٢٦٤.

obeikandi.com

النظام للمنطقة[1].

ووجهت جريدة الجبل نداءات إلى بني معروف كافة لحفظ كيان الجماعة ووحدة العشيرة وهكذا كانت سنة ١٩٤٨ ــ سنة التواصل والتصالح في البلاد، وأعرب الفريقان عن أسفهما للدماء التي أُريقت كما أكدت جماعة الشعبية عن رغبتها في إعادة تنظيم الجبل.

فأُجريت انتخابات نيابية في نيسان سنة ١٩٤٨ وتراجع آل الأطرش كلياً عن المشاركة فيها، لذلك انتُخِبَ المرشحون الشعبيون فقط ودخلوا المجلس (جميل أبو عسلي، داود هنيدي عن السويداء)، حسين الشوفي عن صلخد، وحمد عزام عن شهبا، دخلوا المجلس بعد المصالحة في شهر شباط سنة ١٩٤٩.

لم تكن للمناصب أهمية كبيرة عند سلطان الأطرش وقد كانت فعلاً حركة كرامة من جانبه خاصة وأن على المرء أن يبدي كرماً (بعد النصر)[2].

وبمسعى من المصلحين والمحافظ الجديد عارف النكدي عُقدت رايات الصلح تباعاً فكانت أولاً في السويداء بين آل جربوع وآل أبو عسلي على قتيلين من آل جربوع دون دفع دية، وتمت المراسم وكما هو معروف عشائرياً منذ القدم فقد حسم الموضوع وكأنه لم يكن، والتزم الفريقان ضمناً من تلك اللحظة، فلا ثأر ولا وعيد، ثم جاء الصلح الأهم صلح آل الأطرش والشعبية في صلخد في ٢٤ كانون الأول سنة ١٩٤٨ بعد تحضير طويل ومعاناة..

وبهذا الصلح انتهت الشعبية والطرشان ودخل نواب الشعبية الأربعة المجلس النيابي في شهر شباط سنة ١٩٤٩، ولم يدم الأمر طويلاً حتى انحل المجلس بعد انقلاب حسني الزعيم بتاريخ ٣٠ آذار سنة ١٩٤٩.

وكانت أهم العوامل التي أضعفت الحركة الشعبية:

١ــ انحراف الحركة إلى الاتجاه العشائري والعائلي: فبعد أن جذبت بأهدافها وأطروحاتها التقدمية أكثر الشباب المثقفين من مختلف العائلات حتى الطرشانية وآل

١- جريدة الجبل ـ ٥ كانون الأول / سنة ١٩٤٧ ـ بريجيت شيلر ـ ص ٢٦٣.

٢- بريجيت شيلر ـ ص ٢٦٤.

obeikandl.com

نصر وآل عامر، لكن دعوة العائلات وزعماء العائلات العشائريين والعائليين سببت انحرافها عن أهدافها التقدمية ومطالبها الاجتماعية والمدنية إلى كتلة عشائرية عائلية تشبه الكتل العشائرية الأخرى.

٢ـ تدخل حكومة دمشق والحزب الوطني والوزير عادل أرسلان وأحمد الشرباتي وشكري القوتلي ـ وكافة السياسيين الذين كان لهم غايات خاصة للقضاء على نفوذ آل الأطرش في الجبل.

ومع ذلك أطلق على الجبل اسم محافظة السويداء، واستمر نفوذ آل الأطرش قائماً ليس فقط لأنهم سياسيون محنكون ولكن بسبب التأييد المتزايد من الأهالي لهم بسبب مركزهم التاريخي في الجبل..

كما بقيت العادات العشائرية مطبقة، وبنظرة دقيقة إلى مراسم الصلح في صلخد نجد فيها مثالاً حياً لتراث قديم وشعارات تقليدية تحمل رسالة جديدة تماماً...

تم الصلح في احتفال جماهيري كبير حضره أكثر من ألفي رجل بينهم بعثة حكومية وأهلية من دمشق[١].

بدأ الاحتفال بكلمة للسيد هزاع بن حمزة درويش قال فيها إن الشعبية في اعتقاده وقناعته قد حققت بعض أهدافها، وأنه باسمها يعلن الصلح، ويتنازل عن دم والده دون أي مقابل وهذا معناه لا دية تدفع ولا مطالبة بحقوق أخرى.

وجاء بعده شبلي العيسمي الذي تعرض بكلمته لأهداف الحركة الشعبية وقال:

علينا أن نتخلى عن السياسات الضيقة الإقليمية والنزاعات العائلية والجشع، وعلى جميع العاملين في الحقل الوطني أن يرفعوا مستوى الوطن بالعمل المشترك في بناء المدارس والمستشفيات، وشق الطرق، وجر المياه، وأن يجعلوا من الجبل جزءاً حياً من سوريا[٢].

أما سلطان باشا الأطرش فقد تطرق بكلمته إلى الماضي وقد جاء فيها: إن الدروز عائلة واحدة، ولا فرق بين عائلة الأطرش وعائلة عامر أو هنيدي أو أية عائلة أخرى..

١- بريجيت شيلر ـ ص ٢٦٥.

٢- الجبل ٢٤ كانون الأول سنة ١٩٤٨.

obeikandl.com

ونحن إذا اتخذنا الماضي مثلاً نستطيع في المستقبل أن نصون التراث ونصون شرف آبائنا.

وهكذا نلاحظ أنه في هذا الحفل تقابل جيلان يجسد كل منهما عصراً خاصاً فقد مثل سلطان الأطرش آخر من مثل الجماعة القديمة، أضفى عليها بعداً اجتماعيا ًمن زمن العثمانيين والفرنسيين عندما كان حوله جمهرة فرسان الجبل (جماعة الحرب القديمة)، ثم شبلي العيسمي ابن إحدى عائلات الصف الثاني في جنوب الجبل وقد وقف مع الشباب المناضلين لتطوير الأفكار التي حملها القدامى من الآباء في تصورهم السياسي في عصر جديد وجيل جديد[1].

وفي نظرة إلى الجمهور في الاحتفال نجد في صفوف الحاضرين نواب حزب الشعب الطامحين لمستقبل جديد، وأيضاً حضر في نفس المجلس ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار مؤسسا حزب البعث العربي، وفي الصفوف كان آل الأطرش وجماعة الحركة الشعبية متحدين معاً.

وهكذا نلاحظ أن الأهداف الشعبية فيما بعد انصبت في حركة البعث التي فرضت نفسها كالحركة الأقوى للشباب النشطين سياسياً في الجبل والوطن العربي كله.

في سنة ١٩٤٩ نجحت في شهادة الدراسة الابتدائية وانتقلت إلى المدرسة الثانوية في السويداء وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة في الجبل، وقد امتد خصام الشعبية والطرشان إلى الثانوية وحصلت عركات متعددة داخل المدرسة حتى بعد قدوم المصلح عارف النكدي إلى الجبل وعقدت رايات الصلح في صلخد، إنما هذا الانقسام منذ بدايته كان قد أثار حفيظة المثقفين من طلاب ومدرسين، فقام طلاب الصفوف المتقدمة والأساتذة جميعهم تقريباً ـ أذكر منهم (عيسى عصفور ـ صالح أبو الحسن ـ سلمان جابر ـ سلمان معروف وغيرهم)... قاموا بقيادة حملة ضد الحوادث الغوغائية التي رافقت حوادث الشعبية والطرشان في الجبل والتي دمرت وقتلت وأثارت الرعب والهلع بين الناس، وأذكت الخصام والتفتت حتى في صفوف الناشئة، فتشكلت جمعية من المثقفين دعيت (جمعية إصلاح الجبل).

١- بريجيت شيلر ص ٢٦٥.

obeikandi.com

وكان اجتماعنا الأول بدار الطالب إبراهيم سليم جانب قنطرة المشنقة، أذكر من الحضور الطلاب (**نجم الفقيه ـ حسين أبو عسلي ـ سلمان أبو عسلي ـ نجم جربوع ـ سلمان بلان ـ حديثة مراد ـ محمود نوفل ـ صالح نصر**) ومن الأساتذة: (**صالح أبو الحسن، عيسى عصفور، سليم المارديني**). وبعد عدة اجتماعات في بيوت الطلاب والأساتذة، كان قد جاءنا حزب البعث العربي بأهدافه الثورية والقومية والوطنية وكان المسؤول الأول للحزب الأستاذ عيسى عصفور، وباعتبار أن الحزب قد ظهر للجميع قومياً وحدوياً وطنياً بشعاره:

"أمة عربية واحدة ـ ذات رسالة خالدة"

دخل جميع أعضاء جمعية الإصلاح في حزب البعث العربي الاشتراكي باعتباره الأقدر على قيادة المصالحة والإصلاح في الجبل.

في مطلع الخمسينات ١٩٥١ دخلت الحزب رسمياً عن طريق السيد محمود نوفل الذي كان يتقدمنا في الصف الثامن وكنت في الصف السابع وانغمسنا في النشاط الثاني حول دستور الحزب والتاريخ والنضال القومي العربي بمحاضرات وندوات ورحلات حزبية إلى درعا ودمشق والقرى... وكانت نظرتنا إلى الحزب أنه قومي عربي وطني تقدمي وحدوي، يجمع ولا يفرق يخالف الحزب القومي السوري المؤمن بتوحيد الهلال الخصيب، وحزب الأخوان المسلمين الذي كنا نراه حزباً دينياً، والحزب الشيوعي الأممي كنا نراه يخالف فكر البعث الذي يركز على القومية والوحدة العربية بينما كان الشيوعيون يتهمون حزب البعث بأنه حزب قومي برجوازي شوفيني، وهو حزب المثقفين قليلي الاهتمام بالعمال حيث يعتمد على المعلمين والأساتذة والطلاب بالدرجة الأولى..

وكانت العناصر العمالية قليلة في الحزب حيث لم يركز في نشراته ومناشيره في ذلك الوقت على العمال والاشتراكية، وقد قرأت في ذلك الوقت عدداً من الكراسات الصغيرة منها (الرسول العربي) **للأستاذ ميشيل عفلق الذي قال فيه:**

"إذا كانت الأمة العربية جسداً فالإسلام روحها." وكان هذا الكراس يعطي أهمية كبيرة للإسلام وكأنه هو العروبة ولا يمكن الفصل بينهما. كما قرأت كراساً آخر للأستاذ صلاح الدين البيطار بعنوان (نحن والشيوعية) وكان يربط بهذا

obeikandl.com

الكراس حركة التاريخ بعوامل متعددة أكثر من الطرح الطبقي الذي تركز عليه الشيوعية، ويركز هذا الكراس على أهمية الفكر القومي والروح الوطنية، والعلاقات الاجتماعية في تكوين تاريخ الشعوب.

وقد برز في الحزب على مستوى القيادات تيار فكري قومي يقوده الأستاذ ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار ومنصور الأطرش وأنطون مقدسي، وتيار عمالي يساري يقوده السيد جلال السيد من دير الزور، الذي كنا نفكر بأنه عشائري لا يمكن أن يقود اليسار في الحزب حتى اندمج الحزب مع حزب الشباب للسيد أكرم الحوراني فيما بعد فأصبح اسم الحزب هو حزب البعث العربي الاشتراكي، وقد قوى بذلك الجناح اليساري العمالي في الحزب، وكان الجناح الفكري يحاول الابتعاد عن السلطة ويرفض الانغماس في الحكم ويفضل البقاء في صفوف المعارضة، لذلك كانت أكثر بيانات الحزب ومناشيره تركز على الابتعاد عن الحكم، فالأستاذ ميشيل عفلق كان يردد في أطروحاته قائلاً: مهمتنا شق الطريق لا تعبيدها، وقلع الأشواك لا غرس الرياحين وعلى العكس من ذلك كان رأي أكرم الحوراني يركز على استلام الحزب للسلطة حتى يتمكن من تحقيق أهدافه ونشر مبادئه بين العمال والفلاحين والجماهير الشعبية الكادحة.

obeikandl.com

عرض بعض منشورات حزب البعث العربي الاشتراكي في تلك الفترة

من بيان ٢٤ تموز ١٩٤٣ ـ حول المعركة الانتخابية

أيها الشعب الكريم!

ندخل الانتخابات، لا باسم طائفة، ولا مدينة، ولا مصالح قريبة أو ظروف سياسية عاجلة، بل باسم فلسفة قومية تريد أن تكون إفصاحاً صادقاً عن الحياة العربية في حقيقتها الخالدة.

تمثل الروح العربية ضد الشيوعية المادية، تمثل التاريخ العربي الحي ضد الرجعية الميتة والتقدم المصطنع، تمثل القومية التامة المعبرة عن كامل الشخصية ضد القومية اللفظية التي لا تتعدى اللسان ويناقضها مجموع السلوك، تمثل رسالة العروبة ضد حرفة السياسة، تمثل الجيل العربي الجديد.

أمتنا اليوم تستيقظ بعد هجوع طويل، وتنهض بعد انحطاط قرون. كل خطة نضعها وكل أسلوب ننتجه يستهدف أمرين لهما نفس الأهمية: تقدمنا نحو غايتنا، وبناء كل مرحلة من مراحل سيرنا على أساس وطيد حتى نأمن التراجع. لذلك نوفي الأسلوب حقه ولا نقول: إن الغاية تبرر الواسطة. كل خطوة من خطانا نريدها قدوة، ولهذا لا نتأخر عن التضحية بالفرص العارضة والنجاح السريع في سبيل المستقبل المضمون.

نحن في دور الممهدين: مهمتنا شق الطريق للجيل الجديد لا تعبيدها، رفع الأشواك لا زرع الرياحين، غرس البذور الخالدة لا قطف الثمار اليانعة، لذلك لن ندخل الحكم عاجلاً، وفي صف النضال سنبقى طويلاً.

نحن في دور النهضة القومية والبعث العربية وتفتح العقل العربي. نعرف أن العروبة لفظة على اللسان، ونريد أن ندخلها إلى أعماق الوجدان.

صدى المزرعة

وفي النشاط الثقافي تلك الأيام في متوسطة السويداء الوحيدة في الجبل، راحت تتصارع الأفكار السياسية والحزبية والآراء الوطنية، لمختلف الأحزاب المتمثلة على ساحة الوطن فتبرز في مجلة صغيرة أو نشرة نصف شهرية، أدبية أخلاقية سميت «صدى المزرعة» صدر منها ثلاثة أعداد ـ اعتباراً من ٧ شباط ١٩٥١ ـ وقد ورد في افتتاحية العدد الأول لرئيس التحرير الأستاذ سلمان جابر ما يلي: إن هذه المجلة تفتح أمام الطلاب مجالاً فسيحاً للنشاط الأدبي، وتهيئ لذوي الكفاءات الإنشائية والفكرية منهم نشر بواكير قرائحهم التي تبقى أكبر مذكر لهم بأيام التلمذة، وما فيها من مباهج الفتوة والحياة.

وقد جاء في خواطر للأستاذ محمود سعد الدين مدير المدرسة، بعد عودته مع أصحابه من زيارة لأرض معركة المزرعة.

ـ كان الصحب يستعدون للعودة من حيث تعالت أصوات المعروفيين حماسة ونجدة وصالت أسلحتهم بطشاً وفتكاً...!! ـ أنا الذي أذله الانتداب البغيض، فجاء ليظله الاستقلال العتيد، إنه استقلال سداه المزرعة ولحمته ميسلون، لقد حمته الحمية وأنشأته الشهامة، فحميته امتدت، وشهامته استمرت، امتدت فذادت عن فلسطين، واستمرت فخلقت أسبوع فلسطين.

أما الأستاذ صالح أبو الحسن: فيقول تحت عنوان المزرعة: ليست المزرعة التي بين يديك أيها القارئ العزيز، إلا صفحات خطتها بالحبر، أقلام أبناء الذين خطوا ـ بالدم ـ منذ ربع قرن صفحة ـ المزرعة الخالدة.

أما الأستاذ عيسى عصفور فيقول في العدد الثاني: وكان يوم المزرعة حجراً في صرح هذا الاستقلال العتيد.

أما أنا فقد كنت في الصف الثامن وكان لي أول موضوع ينشر للطلاب في العدد الأول بعنوان النزعة الفردية وأثرها في المجتمع... جاء فيه: النزعة الفردية من أهم العناصر الهدامة في حياة المجتمع والأخطار الجسيمة التي تهدد الطمأنينة والسلام، لأنها

obeikandi.com

تمنع الإنسان من النضال الفكري والمادي في سبيل خدمة أمته ووطنه، وتوجه خطاه للحصول على حاجاته الخاصة وتحقيق آرائه ومآربه فيصبح أسيراً لميوله وغرائزه النفسية تسخره كيفما شاءت حتى يندس في طوايا العدم حيث الانقراض والنسيان.

وهذه مواضيع الطلاب: في العدد الأول: لبيك يا وطني «الطالب محمود نوفل» المحبة جماع الفضائل «حسن بلوط» الشركاء الأربعة «جميل العقباني» «الغاية من العلم» «نجم الفقيه». اتحدوا فالاتحاد قوة. شامل المصفي ـ ومن مواضيع العدد الثاني: فتاتكم أيها العرب «الطالبة سميحة حاطوم» ـ واقعنا المؤلم «سلوى عبد الدين» ـ الغاية من العلم «سليمان رضوان» ـ فلنستعد لليوم الموعود «الطالب سليم حاطوم» ـ إخفاقي الأول «حمد جنود» ـ موكب الحياة «صالح نصر». وفي العدد الثالث مواضيع مختلفة أخرى منها: استهدِف النجمَ لتصب المئذنة «للطالب ذوقان أبو فخر».

غلاف صدى المزرعة